

228099 - فضل : (مَنْ تَرَكَ اللَّبَاسَ تَوَاضَعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ)

السؤال

أخرج الترمذي في سننه عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها ، فما المقصود بترك اللباس؟ وهل يقصد بها الغالي والنفيس وما الضابط في ذلك؟

الإجابة المفصلة

أولا :

روى الترمذي (2481) وحسنه ، وأحمد (15631) ، والحاكم (7372) عَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسِ الْجُهَنِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ تَرَكَ اللَّبَاسَ تَوَاضَعًا لِلَّهِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الْإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا)

وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

وحسنه الألباني في "صحيح الترمذي"، وكذا حسنه محققو مسند الإمام أحمد .

ومعنى الحديث : أن من ترك

لبس الثياب الحسنة النفيسة غالية الثمن ، وهو يقدر على ذلك ؛ تواضعا لله ، دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق ، وخيره من حلل الإيمان يلبس من أيها شاء ، جزاء له على تواضعه لله ، وزهده في الدنيا ، وبعده عن الخيلاء والتكبر والإسراف .

قال الترمذي رحمه الله عقب روايته :

" وَمَعْنَى قَوْلِهِ : (حُلَلِ الْإِيمَانِ) : يَعْني : مَا يُعْطَى أَهْلُ

الْإِيمَانِ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ " انتهى .

وقال المناوي رحمه الله :

" (من ترك اللباس) أي : لبس الثياب الحسنة المرتفعة القيمة (تواضعا لله)

أي : لا ليقال : إنه متواضع أو زاهد ونحوه ، والناقد بصير (وهو يقدر

عليه : دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق) ، أي : يشهره

بَيْنَ النَّاسِ وَيُنَادِيهِ (حَتَّى يَخِيْرَهُ مِنْ أَى حَلْلِ الْإِيْمَانِ نَشَاءَ يَلْبَسُهَا) .
انتهى من "التيسير" (2/ 409) .

وقال ابن علان رحمه الله :

" (من ترك اللباس) أَى أَعْرَضَ عَنْهُ (تَوَاضَعًا) وَتَرَكَأَ لَزَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (وهو يقدر عليه) أَمَا التَّارِكُ لِلْعَجْزِ فَلَا . نَعَمْ : إِنْ عَزَمَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ قَادِرًا عَلَيْهِ لِأَعْرَضَ عَنْهُ تَوَاضَعًا ، أَثِيْبَ عَلَى نِيْتِهِ (دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ) زِيَادَةً فِي تَشْرِيْفِهِ (حتى يخييره من أَى حَلْلِ الْإِيْمَانِ يَشَاءُ) ، و"حتى" غَايَةٌ لِمَقْدَرٍ : أَى وَيُنَشِّرُ تَشْرِيْفَهُ ثَمَّةَ (أَى : هُنَاكَ) بِأَنْوَاعِ الشَّرْفِ ، إِلَى أَنْ يَخِيْرَهُ بَيْنَ حَلْلِ أَهْلِ الْإِيْمَانِ الْمُتَفَاوِتَةِ الْمَقَامِ ، فَيَخْتَارُ الْأَعْلَى ، وَقَوْلُهُ : (يَلْبَسُهَا) جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ لِبَيَانِ الْقَصْدِ مِنَ التَّخْيِيرِ فِيهَا " انتهى من "دليل الفالحين" (5/ 284) .

فالمقصود بترك اللباس : ترك

ارتداء الثياب الغالية الثمن النفيسة ، التي لا يقدر على شرائها إلا الأغنياء .
وضابط هذا : العرف ، فكل ما كان من الثياب في عرف الناس وفي أسواقهم فاخرًا مرتفع القيمة ، لا يقدر على شرائه إلا الأغنياء : فهو من ذلك .
وقد يختلف هذا من مجتمع إلى مجتمع ، ومن بلد إلى بلد ، فقد يكون الثوب نفيسًا في بلد لا يقدر عليه أوساط الناس ، ويكون الثوب نفسه في بلد آخر في متناول الجميع .
ثانيا :

هذا لا يعني أن لبس الثياب الحسنة مذموم ، وأن الرجل كلما كان ثوبه رثًا ، كان أكمل إيمانًا ، وأعظم أجرًا ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَلْبَسُ مِنْ أَنْوَاعِ الثِّيَابِ ، وَيَتَجَمَّلُ لِلْفُؤُودِ . رَوَى مُسْلِمٌ (91) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ) قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ) .

وقال صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ) رواه الترمذي (2819) وحسنه ، وصححه الألباني في "صحيح الترمذي" .

قال القاري رحمه الله :

" قَالَ الْمُظْهِرُ: يَعْْنِي إِذَا آتَى اللهُ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا فَلْيُظْهِرْهَا مِنْ نَفْسِهِ، بِأَنْ يَلْبَسَ لِبَاسًا

يَلْبِقُ بِحَالِهِ، لِإِظْهَارِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَيُقْصِدُهُ
الْمُحْتَاجُونَ لِطَلَبِ الرِّكَاتِ وَالصَّدَقَاتِ، وَكَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ :
يُظْهِرُوا عِلْمَهُمْ لِيَسْتَفِيدَ النَّاسُ مِنْهُمْ اهـ.
فَإِنْ قُلْتَ: أَلَيْسَ قَدْ حَثَّ عَلَى الْبَدَاذَةِ؟ قُلْتُ: إِنَّمَا حَثَّ
عَلَيْهَا ، لِئَلَّا يَعْدِلَ عَنْهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَلَا يَتَكَلَّفَ
لِلثِّيَابِ الْمُتَكَلِّفَةَ ، كَمَا هُوَ مُشَاهِدٌ فِي عَادَةِ النَّاسِ، حَتَّى
فِي الْعُلَمَاءِ وَالْمُتَصَوِّفَةِ، فَأَمَّا مَنْ اتَّخَذَ ذَلِكَ دَيْدَنًا
وَعَادَةً، مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْجَدِيدِ وَالنَّظَافَةِ، فَلَا ; لِأَنَّهُ
حَسَنَةٌ وَدَنَاءَةٌ ” .
انتهى من “مرقاة المفاتيح” (2783 /7) .

وعلى هذا ؛ فالمسلم يلبس
الثياب الحسنة أو المتواضعة ، ويكون له نية حسنة في الحاليتين ، فيثاب على ذلك ،
ولكن الثياب الحسنة لها أحوال وأوقات تكون أنسب وأرغب فيها ، وللثياب المتواضعة
أحوال وأوقات تكون أنسب وأرغب فيها ، والذي ينبغي لمسلم أن يراعي هذا ، فيفعل كل
فعل في الوقت والحال المناسب له .
ولذلك قال العلماء :

إذا كان الرجل في بيئة متوسطة : فالأكمل في حقه لبس الثياب المتواضعة ، وترك لبس
الثياب الرفيعة ، وإذا كان في بيئة ميسورة الحال : فالأكمل في حقه لبس الثياب
الحسنة الرفيعة .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح الحديث الوارد في السؤال :
” إذا كان الإنسان بين أناس متوسطي الحال لا يستطيعون اللباس الرفيع ، فتواضع ،
وصار يلبس مثلهم ، لئلا تنكسر قلوبهم ، ولئلا يفخر عليهم ، فإنه ينال هذا الأجر
العظيم .

أما إذا كان بين أناس قد أنعم الله عليهم ، ويلبسون الثياب الرفيعة ، لكنها غير
محرمة ، فإن الأفضل أن يلبس مثلهم ؛ لأن الله تعالى جميل يحب الجمال، ولاشك أن
الإنسان إذا كان بين أناس رفيعي الحال يلبسون الثياب الجميلة ، ولبس دونهم ، فإن
هذا يعد لباس شهرة .

فالإنسان ينظر ما تقتضيه الحال :
فإذا كان ترك ربيع الثياب تواضعا لله ، ومواساة لمن كان حوله من الناس : فإن له هذا

الأجر العظيم .

أما إذا كان بين أناس قد أغناهم الله ، ويلبسون الثياب الرفيعة : فإنه يلبس مثلهم ”

انتهى من “شرح رياض الصالحين” (4 / 317) .

والمقصود: أن الحديث يدل على

الزهد والتواضع وعدم الإسراف ، ولكن لا يدل على ترك اللباس الحسن بالكلية ، واختيار

الثياب الرثة دائما .

وانظر للاستزادة جواب السؤال رقم : (97019)

والله تعالى أعلم .